نظريات النشوء الحاضرة

(١) دارون

يراد بعلم النشوء البحث عن اصل الانواع وسبب التباين بينها وكيفية حدوثه . فدارون قال ان كل الانواع من اصل واحد وان سبب الاختلاف الظاهر بينها الآن منشأهُ الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي

فالانتخاب الطبيعي عندهُ هو بقاء الاصلح وانقراض غيره . يقول مثلاً اذا نظرنا الى نوع الزرافة لم نجد اثنين منهُ متشابهين تماماً فالحائز لصفة نافعة يصير اقدر على الحياة من غيره فاذا كانت الاشجار التي تنبت بها الزرافة عالية الاغصان فكل زرافة قصيرة العنق تنقرض والطويلة العنق تبقى ويكثر جنسها بواسطة التناسل . كذلك اذا فرضنا ان بين اسدين فريسة وقام نزاع بينهما عليها فتقاتلا حتى قُتل احدهما انقرض نسلهُ وبقي نسل الغالب منها . وانما غلب هذا الاخير لصفة ميزتهُ عن الاول فاورثها نسلهُ . ولكن دارون لم يذكر السبب الذي جعل الزرافتين والاسدين يختلفان

والانتخاب الجنسي هو ان يحوز القوي من الحيوانات الانثى فيحفظ نسلهُ بواسطتها او بتمثيلها الجميل بجمالهِ كما يفعل بعض السمك او الطيور ففي فصل التلقيح يتلون بعض الاسماك بألوان بهية تجذب انظار الاناث ويفرد بعض الطيور بأنغام شجية تجذب اناثهُ اليهِ ايضاً . فالحائز لهذه المزايا يتناسل وغيرهُ ينقرض

فانت ترى من هذا ان دارون لم يتعرض لذكر سبب التباين بين فردين بل فرض وجودهُ ثم بنى عليهِ تباين الانواع

(٢) لامارك وسبنسر

قال لامارك ان سبب وجود التباين بين فردين هو الصفات التي يكتسبها الواحد مدة حياتهِ وتبعهُ في ذلك هربرت سبنسر فقال ان الاعمى يمرن حاسة السمع وحاسة اللمس فتقويان ويورثهما نسلهُ . فلو صح هذا لوجب ان يكون للتربية تأثير شعبي اي ان ابن المتعلم يجب ان يكون اذكى من لم يتعلم والدهُ وابن الفلاح يجب ان يكون احط من ابن المتعلم والقوة التي يكتسبها الحيوان في حياتهِ يورثها لنسلهِ ولو جزئياً

(٣) صموئيل بطلر

قال صموئيل بطلر ان أصل التباين هو رغبة الحيوان فيهِ . اني ان الزرافة لما رأت الاغصان عالية عنها رغبت في ان تكون رقبتها طويلة فرغبت رقبتها على المط والمد ثم اورثت ما وصلت اليهِ نسلها وهذا ايضاً جدّ في تطويل رقبتهِ حتى طالت . اي انهُ يوافق لامارك ومبسنر على وراثة الصفات المكتسبة ويزيد عليها شخصية الحيوان اي رغبتهُ كعامل في التباين . فللانسان عينان لان نوعهُ اراد ان يكون لهُ عينان والطفل هو الذي يخلق عينهُ بنفسهِ واذا كان لا يشعر بذلك فلانهُ تعلم صناعة عمل العينين تعلماً تاماً حتى اصبح لا يشعر بها وذلك من كثرة تكرار اسلافه لهذا العمل . ويمثل ذلك بالمشي فكثيرون منا يمشون وهم يفكرون بشيء آخر غير المشي ولكن الطفل اذا ابتدأ يمشي وجب عليهِ ان يوجه كل التفاتهِ الى حركات رجليهِ حتى لا يسقط . وهذا معناهُ ان الطفل شاعر بالمشي لقلة معرفتهِ بهِ ونحن غير شاعرين بهِ لكثرة معرفتنا بهِ . ولكن عدم شعورنا بالمشي لا يعني اننا لا نمشي ولا نعرف فن المشي كذلك عدم شعور الطفل بالرضاع او بالمضم لا يعني انهُ لا يعرفهما بل هو استاذ فيهما الى درجة انهُ صار لا يشعر بهما

(٤) فيسمان

يقول فيسمان ان الصفات المكتسبة لا تورث لان نطفة الذكر التي تلقح نطفة الانثى هي مستقلة تمام الاستقلال عن الجسد الذي تعيش فيهِ والذي هو بمثابة الغذاء لها فقط . لم ان الغذاء يؤثر فيها لا قوتها الوراثية فاذا كان الجسد مسموماً بالمسكرات او بالامراض تسمم هي ايضاً وقوت وهي صغيرة او تعيش ضعيفة . وهذا ما يحصل فعلاً . اما اذا قطعت ذراع الرجل او صار فيلسوفاً بالتعليم فهذا لا يؤثر فيها مطلقاً . فابن زيد مثلاً ليس في الحقيقة ابنهُ اكثر مما هو ابن اخيهِ او ابن ابيهِ لان النطفة خرجت من والدهِ اليهِ وهو سلمها لابنهِ من غير ان يؤثر فيها مطلقاً . فليس للوسط قيمة شخصية مطلقاً اي انهُ لا يؤثر الاَّ في الجيل الذي يعيش فيهِ اما اولاد هذا الجيل فيولدون كما ولد آباؤهم ويجب ان يربوا كما رُبّي آباؤهم ان كنا نريد تهذيبهم

(٥) ده فريس

جاء هذا بنظرية جديدة خلاصتها ان الانواع لا تتغير بالتدريج بل فجأة (Mutation) ودليلهُ على ذلك انهُ وجد نباتاً يتغير ولا يرجع الى اصلهِ . والتغير يحدث فجأة بشكل يشمل

النوع كلهُ فيصير مخالفاً لسلفهِ كما يختلف الاسد عن النمر . ويفسر نظريتهُ بان التغيرات الصغيرة التي تحدث في النوع تبقى كامنة حتى تظهر فجأة كما يحدث في المزج الكيماوي . ويقول ان الانتخاب الجنسي او الطبيعي لا يمكن ان ينشئ انواعاً جديدة لان غاية ما يفعلهُ الانتخاب هو ان يجعل افراد النوع مشابهة لأعلى شكل او بالاولى لأصلح شكل من هذا النوع . فالذين يؤصلون الخيول لا يقدرون ان يخلقوا حيواناً غير الحصان من نوع الخيل وغاية ما يفعلونهُ انهم يؤصلون نوع الخيل الى شكل الاصيل فقط . والمدة التي تدل الدلائل الجيولوجية انها تكفي لخلق الانواع الحاضرة قصيرة لو فرضنا ان الانتخاب هو العامل الوحيد في كثرة الانواع الحاضرة . فهو يعتقد بوراثة الصفات المكتسبة ولكنهُ يقول ان هذه الصفات لا تظهر بالتدريج بل تكمن مدة طويلة - عدة آلاف من السنين - ثم تظهر فجأة وتغير النوع تغيراً كاملاً

(٦) الخلاصة

فانت ترى من هذا ان كيفية تغير الانواع غير متفق عليها الآن عند البيولوجيين ويظهر ان الصفات المكتسبة لا تورث مطلقاً — او على الاقل ان الدلائل الحاضرة ترجح النفي . وهذا يسقط كل اهمية أعطيت للمدنية من تربية ونظام مدني وغيرها ويجعلنا ننظر الى الصفات الاصلية الوراثية كمعتمدنا الوحيد في ترقية الانسان وذلك بان نسهل حفظ نسل من نرغب في بقاء صفاتهِ ونصعب حفظ نسل من لا نرغب في بقاء صفاتهِ

لندن — سلامه موسى

[المقتطف] لما بسطنا رأي ده فريس في القول الفجائي (المجلد ٣٠ صفحة ٥٥٣) ابدينا رأينا في تولد الانواع ولا نزال نظنهُ وجيهاً بل اوجه الآراء التي وقفنا عليها وهو « ان حياة النوع مثل حياة الافراد التي يتألف منها ذلك النوع كما ان حياة الفرد مثل حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ . فكما يولد الفرد وينمو ويقرُّ عليهِ ايام وسنون قبلما يبلغ اشدهُ ثم يلد افراداً آخرين في احوال مخصوصة كذلك النوع يولد وينمو ويقرُّ عليهِ قرون كثيرة ثم يلد انواعاً أخرى في احوال مخصوصة . فالنوع فصل قائم برأسهِ كالفرد ولهُ حياة طويلة نسبتها الى حياة الفرد كنسبة حياة الفرد الى حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ . ولا يبعد ان يكون للاحياء كلها نظام واحد من اعلاها الى ادناها »